الإيحاء الصّوتيّ وأثره في الدّلالة

د(ة). الحاج علي هوارية

وحدة البحث – تلمسان – الجزائر

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة "الإيحاء الصّوتيّ" أو "وحي الأصوات"، وهي تعني ربط أصوات الألفاظ بمدلولاتها، وقد اعتنى بهذه القضية الدّارسون قديما وحديثا. فأصوات اللّغة العربيّة ذات إيحاءات ودلالات مختلفة لا يدركها إلاّ المتمرّس والعارف بأسرار العربيّة وخباياها. فيمكن استيحاء دلالة اللّفظ من خلال الأصوات اللّغويّة المكوّنة له، وذلك من خلال الخصائص الصّوتيّة لكلّ صوت كالجهر والهمس والشّدّة والرّخاوة وغيرها من الصّفات، بالإضافة إلى دلالة الصّوائت. كما تلعب الصّيغة الصّرفيّة أو الميزان الصّرفيّ دورا في دلالة الألفاظ.

الكلمات المفتاحيّة: الإيحاء-الصّوت-العربيّة-الدّلالة-الصّوائت.

Abstract:

This research aims to study the phenomenon of "sound connotations" or " sounds revelation ", it means linking the words sounds with their meanings. Scholars thave always interested in studying this issue. The sounds of Arabic language have different connotations and meanings which can be only perceived by specialists and those who know arabic secrets. we can discover the word meaning through the sounds features, and through the acoustic properties of each sound as : voiced and voiceles and high and low sounds in addition to the importance of vowels. The morphology of words also plays a role in the construction of the word meaning.

Keywords: connotation-sound-arabic-vowels-meaning.

تمهيد:

اعتنى علماء العربيّة قديما وحديثا عناية بالغة بلغتهم، وكانت عنايتهم إذ ذاك للحفاظ على كتاب الله عزّ وجلّ من التّحريف والتّصحيف. وقد عملوا على تخليص ألفاظهم ممّا يشوبها من الأصوات العسيرة نطقا والثّقيلة سماعا، فاصطبغ الكلام العربي بصبغة الانسجام والاتّزان، وأصبحت الكلمة العربيّة سَلِسَةً مُنسَابةً ذات مسحة موسيقيّة تميّزها عن سائر أخواتها السّاميات.[1]

فالعربيّة تتميّز عن غيرها من اللّغات السّامية بالخاصيّة الموسيقيّة، وتشكّل ألفاظها وحدات صوتيّة موزونة أيًّا كان موقعها في الشّعر أو النّثر، وهذا ما أقرّه المستشرق الألماني **(أرتور شاده)**، إذ أنّه لم يعثر على قصيدة عبريّة واحدة يكون بحرها موحّدًا من أوّلها إلى آخرها، بل كانت عبارة عن لمحات من أوزان شتّى.[2]

ويُرجع الدّارسون سبب حفظ الأشعار أكثر من النّصوص النّثريّة إلى تلك الموسيقا الموجودة في الشّعر، فانسجام المقاطع وتواليها يحفّز على إعادتها وترديدها، فيخفّ الضّغط على الذّاكرة السّمعيّة وتستوعبه بسرعة. ولا يقتصر هذا على الشّعر فحسب، بل يمكننا أن نصف الكلام العربي بأنّه شعريّ موسيقيّ، ونستدلّ على ذلك بآي القرآن الكريم الّتي تتوالى فيها المقاطع في نسق موسيقيّ جذّاب استولى على عقول الشّعراء، فلم يتوان بعضهم في الاقتباس منه.[3]

---

[1] ينظر: **موسيقيّة اللّغة العربيّة ومقاصد العرب منها**، ص1.

[2] ينظر: **أسباب نشوء ظواهر التّشكيل الصّوتيّ في العربيّة**، ص2- 3.

[3] ينظر: **أسباب نشوء ظواهر التّشكيل الصّوتيّ في العربيّة**، ص3.

وقد بلغ القرآن الكريم الذّروة في التّأثير في سمع المتلقّي ووجدانه، وذلك لعذوبة جَرْسِه وجمال إيقاعه، فكان تخيّر الألفاظ قائمًا على أساس تحقيق الموسيقا المتّسقة مع جوّ الآية وجوّ السّياق وجوّ السّورة كلّها في كثير من الأحيان، خاصّة تلك السّور القصار الّتي حفل بها العهد المكّيّ.[1]

أثر الإيحاء الصّوتيّ في الدّلالة:

تعدّ قضية الدّلالة من أقدم قضايا الفكر أسهم فيها الفلاسفة والمناطقة والأصوليّون واللّغويّون والبلاغيّون من العرب وغيرهم. والدّلالة هي تلك الرّابطة الخفيّة الّتي تجمع بين الائتلاف الصّوتي وهو ما يُعرف باللّفظ وما يحمله هذا الائتلاف من معنى. فاللّفظ (دالٌّ) والمعنى (مدلولٌ)، والدّلالة هي ذلك المدْرَجُ الّذي ينصرف إليه بال الإنسان حين النّطق والسّماع. ويُرجع أحد الباحثين سرّ العمليّة الكلاميّة كلّها إلى تلك الصّلة القائمة في عقول اثنين بين الرّمز والمدلول.[2] وقد شبّههما **دي سوسير** بوجْهَيْ الورقة فالتّلاحم بينهما وثيق ولا يمكن تمزيق أحدهما دون تمزيق الآخر.[3]

---

[1] ينظر: **الأسباب الصّوتيّة لاختيار المفردة القرآنيّة**، عبد الرّحمن بن معاضة الشّهري، الموقع الإلكتروني: www.tafsir.org/vb/showthread.php?t=2361

[2] ينظر: **أسس علم اللّغة**، ص72.

[3] ينظر: **محاضرات في الألسنيّة العامّة**، ص90.

مفهوم الإيحاء:

أ-لغة:

الوحي: الإشارة والكتابة والرّسالة والإلهام والكلام الخفيّ وكلّ ما ألقيته إلى غيرك. قال الكسائي (ت189هـ): "وَحَيْتُ إليه بالكلام أَحِي به وأَوْحَيْتَه إليه، وهو أن تكلّمه بكلام تخفيه عن غيره".[1]

ب-اصطلاحا:

عرّف الدّكتور **إبراهيم أنيس** وحي الأصوات بقوله: "وقد أطلقنا عليه الوحي لأنّه لطيف لا يُدرَك إلاّ بعد التّجارب والدّراسة المستفيضة، ولأنّه عمل من أعمال العقل الباطن أو اللاّشعور، يحسّ به المرء دون أن يدري كيف أحسّ به".[2] فالعامل المشترك بين التّعريفين اللّغوي والاصطلاحي هو الخفاء ولذلك فهو يحتاج إلى بحث واستقصاء.

وقد كانت لأسلافنا المنعّمين جهود طيّبة في استيحاء دلالة اللّفظ من أصواته، فقد بحثوا هذه القضية في القرون الهجريّة الأوّلى، وكانت محاولة **الخليل بن أحمد** (ت175هـ) في طليعة تلك المحاولات ويظهر ذلك جليّا في قوله: "ألا ترى الحكاية أنّ الحاكي يحكي صَلْصَلَة اللّجام فيقول: صَلْصَلَ اللّجام، وإن شاء

---

[1] **لسان العرب**ج15، ص379-380، مادة (وحي).

[2] **دلالة الألفاظ**، ص85.

قال: صَلَّ، يخفّف مرّة اكتفاء بها وإن شاء أعادها مرّتين أو أكثر من ذلك فيقول: صلْ، صلْ، صلْ، يتكلّف من ذلك ما بدا له".[1]

وعُني تلميذه **سيبويه** (ت180هـ) بهذه العلاقة أيضًا فأشار إلى أنّ كلّ المصادر الّتي جاءت على وزن (فَعَلاَنْ) دالّة على معناها فضلاً عن اختلاف هذه الأصوات من موضع لآخر، فقال: "ومن المصادر الّتي جاءت على مثال واحد حين تضاربت المعاني قولك: النَزَوَان والنَقَزَان والقَفَزَان ... فإنّما هو بمنزلة الغَلَيَان".[2]

واعتنى الفيلسوف **ابن سينا** (ت428هـ) بالعلاقة القائمة بين الصّوت وما يدلّ عليه، فتعرّض لوصف الأصوات الّتي تُسمع من حركات غير نطقيّة، فقال عن سماع السّين مثلاً: "السّين عن مسّ جسمٍ يابسٍ جسماً يابساً وتحرّكه عليه، حتّى يتسرّب ما بينهما هواء عن منافذ ضيّقة جدّا. ويسمع أيضًا عن نفوذ الهواء بقوّة في مثل أسنان المشط".[3] فربط صوت السّين بذلك الصّوت المسموع عن احتكاك جسمين يابسين ببعضهما، أو عن تسرّب الهواء بقوّة بين أسنان المشط.

وقد أفاض **ابن جنيّ** (ت392هـ) في بحث دلالة الصّوت اللّغويّ على معناه، فذهب مذهبًا أبعد ممّا أثاره سابقوه، إذا أيقن بأنّ أصواتًا معيّنة تدلّ على معانٍ معيّنة، فقد همّ غير مرّة بتصنيف كتاب يوضح فيه مناسبة الألفاظ لمعانيها،

---

[1] **كتاب العين**، ج1، ص55.

[2] **الكتاب**، ج2، ص218.

[3] **رسالة أسباب حدوث الحروف**، ص95.

ويُظهر فيه وجه الحكمة المعجزة الدّالة على قوّة الصّنعة فيه، ولكنّ ضيق الوقت حال دون ذلك.[1]

أ-دلالة الصّوامت:

عقد **ابن جنيّ** فصولا من كتابه "الخصائص" أشار من خلالها إلى العلاقة القائمة بين بعض الأصوات ومدلولاتها في اللّغة العربيّة، فقال: "فأمّا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم ونهج مُتْلَئِبٌ عند عارفيه مأموم. وذلك أنّهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها؛ فيعدّلونها بها ويحتذونها عليها. وذلك أكثر ممّا نقدّره، وأضعاف ما نستشعره".[2]

وقد قدّم شواهد كثيرة شرح وعضد بها نظريته، فقال: "إنّ كثيرًا من هذه اللّغة وجدته مضاهيًا بأجراس حروفه أصوات الأفعال الّتي عبّر عنها؛ ألا تراهم قالوا قَضِمَ في اليابس، وخَضِمَ في الرّطب؛ ذلك لقوّة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الصّوت الأقوى للفعل الأقوى، والصّوت الأضعف للفعل الأضعف".[3] لقد أدرك **ابن جني** أنّ جَرْسَ الصّوت المختار يتّفق مع دقّة المعنى، وأنّ اختلاف أحد أصوات المفردة يؤدّي حتمًا إلى اختلاف معناها.

---

[1] ينظر: **الدّراسات اللّهجيّة والصّوتيّة عند ابن جنيّ**، ص27.

[2] **الخصائص**، ج2، ص157.

[3] **الخصائص**، ج1، ص65.

وتمتدّ المناسبة من الصّوت الواحد إلى صوتين أو أكثر من أصوات اللّفظ، وممّا وقع في أوّل اللّفظ نحو ما جاء به **ابن جنيّ** في قوله: "ومن ذلك قولهم: خَضِمَ، وقَضِمَ، فالخَضْمُ لأكل الرّطب؛ كالبِطّيخ والقِثّاء، وما كان نحوهما من المأكول الرّطب. والقَضْمُ للصُّلْب اليابس؛ نحو قضِمتِ الدّابة شعيرها، ونحو ذلك...فاختاروا الخاء لرخاوتها للرّطب، والقاف لصلابتها لليابس؛ حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث".[1] فـ (خضم) فعل مبدوء بالخاء الرّخوة يدلّ على مطلق الأكل، وقيل: هو ملء الفم بالأكل، فهو يدلّ على أكل كلّ شيء رطب كالقِثّاء ونحوه.[2] أمّا (القضم) فيدلّ على أكل الشّيء الصّلب اليابس.[3] فالفعلان يشتركان في الضّاد والميم، ويختلفان في الخاء والقاف. والخاء صوت مهموس رخو شبه مفخّم منفتح طبقي، أمّا القاف فهو صوت مهموس شديد له بعض القيمة التّفخيميّة مقلقل لهوي.[4] فقد تميّزت القاف عن الخاء بالشّدّة، فالقوّة إذن عامل مشترك بين زمن النّطق بالقاف والشّيء الصّلب المأكول، أي أنّ الشدّة لها علاقة بصوت القاف فكانت خواصّها الصّوتيّة مناسبة لتكسير اليابس الّذي يحتاج لزمن قصير للتّخلّص منه. في حين يكاد يسمع صوت الخاء في أكل الرّطب، فالجامع

---

[1] **المصدر نفسه**، ج1، ص157-158.

[2] ينظر: **لسان العرب**، ج12، ص 182 – 183، مادة (خضم).

[3] **المصدر نفسه**، ج12، ص487، مادة (قضم).

[4] ينظر: **الأصوات اللّغويّة**، إبراهيم أنيس، ص89 **والأصوات اللّغويّة**، عبد القادر عبد الجليل، ص179.

بين (الخضم) و(القضم) هو مطلق الأكل. كما يوحي (الخضم) أيضًا بالرّخاء والعيش الرّغد اللّيّن، على عكس (القضم) الّذي يوحي بالشّدّة والشّظف.

ومن مظاهر "الدّلالة الصّوتيّة" في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾،[1] لقد وردت الهمزة في الفعل "تؤزّهم" في سياق يوحي بالشّدّة وقد اُختيرت لتأدية حدث إرسال الشّياطين على الكافرين لإزعاجهم وبثّ القلق في نفوسهم، ولم يكن اختيارها في هذا المقام وليد المصادفة، بل لما تتمتّع به من خصائص صوتيّة قويّة تناسب هذا الحدث. فالهمزة نبرة في الصّدر تخرج باجتهاد من أقصى الحلق إذا كانت محقّقة، مهتوتة مضغوطة[2] وهوائيّة إذا كانت مسهّلة.[3]

وقد جاءت الهاء في سياق مغاير تمامًا لما سبق وتجسّد ذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾؛[4] فأوحت الهاء في هذه الآية الكريمة بمشهد اللّين والحنان، وذلك لمّا أمرت مريم–عليها السّلام– حين جاءها المخاض فضاقت به ذرعًا إذ كيف يولد لها ولد ولم يمسسها بشر قطّ، فكان النّداء الّذي سمعته

---

[1] الآية 83 من سورة **مريم**.

[2] ينظر: **كتاب العين**، ج1، ص17،52.

[3] ينظر: **وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات السّتّة**، غانم قدوري الحمد، مجمع اللّغة العربيّة الأردني على الموقع الإلكتروني:
www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09-36-00/359-77-1.html

[4] الآية 25 من سورة **مريم**.

مطمئنًا لها من جهة وآمرًا إيّاها بهزّ جذع النّخلة الّتي أوت إليها لتستظلّ وتستر بها من جهة أخرى.[1] واختيرت الهاء لتصوير هذا المشهد الرّائع الموحي باللّين والحنان تماشيًا مع خصائصها الصّوتيّة، وذلك لما تتّسم به من خصائص صوتيّة ضعيفة، فهي مهموسة خفيّة لا صوت لها ولخفائها قوّيت بالصّلة.[2] وقد أطلق عليها (شادِهْ) صفة "الصّوت النّاقص" فهي في نظره عبارة عن هواء مارّ بالوترين الصّوتيّين دون أيّ عارض يعترضه.[3] فالهمزة أخت الهاء، وبما أنّ الهمزة أقوى تمّ اختيارها للتّعبير عن الحدث الأقوى، أمّا الهاء الضّعيفة فجاءت للدّلالة على الحدث الأضعف وهذه إحدى روائع بيان القرآن الكريم ودلائل إعجازه. وهذا ما أشار إليه ابن جنيّ بقوله: "فهذا في معنى تهزّهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء؛ فتقارَب اللّفظان لتقارب المعنيين. وكأنّهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النّفوس من الهزّ؛ لأنّك قد تهزّ مالا بال له؛ كالجذع وساقِ الشّجرة، ونحو ذلك".[4]

ويواصل **ابن جنّي** عرض الشّواهد الّتي توضّح مظاهر "الدّلالة الصّوتيّة" في اللّغة العربيّة، فيقول: "ومن ذلك قولهم: صَعِد وسَعِد. فجعلوا الصّادر–لأنّها أقوى– لما فيه من أثر مُشَاهَدٌ يُرَى، وهو الصّعود في الجبل والحائط، ونحو ذلك.

---

[1] ينظر: **الإيحاء الصّوتيّ في تعبير القرآن**، قاصد ياسر الزّيدي، الموقع الإلكترونيّ: www.tafsir.org/vb/showthread.php?t=4819

[2] ينظر: **كتاب العين**، ج1، ص17و**النّشر في القراءات العشر**، ج1، ص204.

[3] ينظر: **أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربي–أبو عمرو بن العلاء–**، ص231.

[4] **الخصائص**، ج2، ص 146.

وجعلوا السّين–لضعفها–لما لا يظهر ولا يُشاهَد حِسًّا، إلاّ أنّه مع ذلك فيه صعود الجَدّ، لا صعود الجِسم؛ ألا تراهم يقولون: هو سَعيدُ الجَدّ، وهو عاليّ الجَدّ، وقد ارتفع أمره، وعلا قَدْره. فجعلوا الصّاد لقوّتها، مع ما يشاهد من الأفعال المعالَجة المتجشَّمة، وجعلوا السّين لضعفها، فيما تعرفه النّفس وإن لم تره العين، والدّلالة اللّفظيّة أقوى من الدّلالة المعنويّة".[1] فالفعلان (سعد) و(صعد) يشتركان في العين والدّال ويختلفان في السّين والصّاد؛ فالصّاد صوت مهموس رخو مطبق مفخّم أسناني لثوي، والسّين صوت مهموس رخو منفتح مرقّق أسناني لثوي، وهو النّظير المنفتح للصّاد المطبقة.[2] واستنادًا إلى هذه الخواص الصّوتيّة، جعلت العرب الصّاد القويّة للدّلالة على صعود الجبل والحائط اللّذين يحتاجان إلى قوّة وجهد كبيرين لبلوغهما. ويظهر أثر قوّة صوت الصّاد في لفظ (الصَّعِيدِ) أيضًا، والّذي يُقصد به أعلى الأرض وأطيبها، فهو أطيب ممّا سفل من الأرض؛ لأنّه لا يلحق العالي ما يلحق المنهبط وهو الأصل في اسم الصّعيد.[3]

وقد خصّت السّين الضّعيفة للدّلالة على أمور معنويّة منها (سعد)، فالسَّعْدُ: اليُمْن وهو نقيض النّحس، وهذه إحدى المعاني الرّوحيّة المعنويّة، وكذلك معنى (سعيد) و(السّعادة) وهي مشاعر إنسانيّة معنوية، وعادة ما تكون

---

[1] **المصدر نفسه**، ج2، ص161.

[2] ينظر: **الأصوات اللّغويّة**، إبراهيم أنيس، ص76 – 77.

[3] ينظر: **مجالس ثعلب**، ج2، ص 522.

المحسوسات أضعف من الملموسات.[1]ولهذا جعلت العرب الصّوت الضّعيف دالاّ على الفعل الضّعيف، والصّوت القوي للدّلالة على الحدث القوي.

وممّا وقع في وسط اللّفظ قول **ابن جنيّ:** "ومن ذلك القَسْمُ والقَصْم. فالقَصْم أقوى فعلا من القَسْم؛ لأنّ القصم يكون معه الدّقّ، وقد يقسم بين الشّيئين فلا يُنكأ أحدهما، فلذلك خصّت بالأقوى الصّاد، وبالأضعف السّين".[2] فالقصم أقوى من القسم، يقال انقصم الشّيء إذا كُسِر كَسْرًا فيه بينونة. أمّا القَسْم فهو مصدر قسم الشّيء قسما فانقسم. وهكذا خصّوا الفعل القوي بالصّاد القويّة، والفعل الضّعيف بالسّين الضّعيفة.

ولنمعن النّظر في لفظتي (الوَسِيلَة) و(الوَصِيلَة) ونستعين في هذا بما قاله **ابن جنّي:** "الوَسِيلة، والوَصِيلة، والصّاد–كما ترى–أقوى صوتًا من السّين؛ لما فيها من الاستعلاء، والوَصِيلةُ أقوى معنًى من الوسيلة. وذلك أنّ التَّوَسُّل ليست له عِصْمة الوَصْلِ والصِّلَة؛ بل الصّلة أصلها من اتّصال الشّيء بالشّيء، ومُمَاسَّتِه له، وكونه في أكثر الأحوال بعضا له، كاتّصال أعضاء الإنسان بالإنسان، وهي أبعاضه، ونحو ذلك، والتّوسّل معنى يضعف، ويصغر أن يكون المتوسِّل جزءًا أو كالجزء من المتوسَّل إليه. وهذا واضح. فجعلوا الصّاد، لقوّتها، للمعنى الأقوى، والسّين لضعفها، للمعنى الأضعف".[3] فقد خصّت السّين بالوسيلة لأنّها التّوسّل،

---

[1] ينظر: **لسان العرب**، ج3، ص213، مادة (سعد).

[2] **الخصائص**، ج2، ص161.

[3] **الخصائص**، ج2، ص160.

وعادة ما يكون المتوسّل ضعيفًا مهزومًا منكسر النّفس والخاطر، فجاءت السّين لتفي بهذا الغرض لما تتميّز به من استفال. وخُصّت الوصيلة بصوت الصّاد الّذي يتميّز بالتّفخيم والاستعلاء وهما مظهران من مظاهر القوّة، فهو بذلك ناسب معنى الوصيلة الّتي تعني الأرض الواسعة كأنّها وصلت بأخرى.[1] واتّصال الشّيء بعضه ببعض مظهر من مظاهر القوّة، تمامًا كالّذي يتجلّى في صفات الصّاد.

وخصّ **الأصمعي**(ت216هـ) الفعل القويّ بالصّوت القويّ أيضًا، فقال: "الهَتْلُ من المطر أصغر من الهَطْلِ".[2] فالهتل والهطل يشتركان في الهاء واللام ويختلفان في الطّاء والتّاء، فالتّاء صوت مهموس مرقّق أسناني لثوي انفجاري، والطّاء صوت شديد مهموس مطبق مفخّم أسناني لثوي.[3] فهما لا يختلفان في شيء سوى الإطباق والتّفخيم، فهما من الحروف الانحباسيّة الانفجاريّة والطّاء هي النّظير المفخّم للتّاء.[4] فلمّا كانت الطّاء أقوى من التّاء جعلوا الأولى للدّلالة على للحدث القوي، والثّانية للدّلالة على الحدث الضّعيف. وهذا ما أشار إليه **ابن جنّي:** "وذلك أنّهم لمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوى اللّفظ ينبغي أن يقابل به قوّة الفعل".[5]

---

[1] ينظر: **اللّسان**، ج11، ص130، مادة (وصل).

[2] **المزهر في علوم اللّغة وأنواعها**، ج1، ص50.

[3] ينظر: **الأصوات اللّغويّة**، عبد القادر عبد الجليل، ص161.

[4] ينظر: **مدخل في الصّوتيّات**، ص85.

[5] **الخصائص**، ج2، ص155.

وجاء في "الخصائص" أيضًا: "ومن ذلك تركيب (ق ط ر) و(ق د ر) و(ق ت ر) فالتّاء خافية مستقلّة، والطّاء سامية متصعّدة، فاستُعملتا –لتعاديهما–في الطّرفين؛ كقولهم: قُتْر الشّيء وقُطْره. والدّال بينهما، ليس لها صعود الطّاء ولا نزول التّاء، فكانت لذلك واسطة بينهما، فعبّر بها عن معظم الأمر ومقابلته، فقيل قَدْرُ الشّيء لجِماعِه ومحرنجَمِه".[1] فالدّال صوت يجمع صفتي الطّاء والتّاء، فهو صوت شديد مجهور، مرقّق أسناني لثوي،[2] فلما كانت (الطّاء) مستعلية استعملت للتّعبير عمّا هو مستعلٍ سامٍ ومتصعّد تماشيًا مع صفاتها. والتّاء مستفلة خصّت بها الألفاظ الّتي تدلّ على الانخفاض والنّزول، أمّا (الدّال) الّتي هي بين (الطّاء) و(التّاء) فاستعملت للدّلالة على الوسط، لأنّ "الدّال لانت عن صلابة الطّاء وكزازتها، وارتفعت عن خفوت التّاء فحسنت".[3]

وممّا وقع في آخر اللّفظ (النَّضْح) و(النَّضْخ)، قال **ابن جنيّ** موضّحا ذلك: "ومن ذلك قولهم: النَّضْحُ للماء ونحوه، والنَّضْخُ أقوى من النّضح؛ قال الله سبحانه:﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾[4] فجعلوا الحاء–لرقّتها–للماء الضّعيف، والخاءَ–لغِلَظها–لما هو أقوى منه".[5] فـ (النّضح) و(النّضخ) مصدران يشتركان في النّون والضّاد، ويختلفان في الحاء والخاء، فهما يشتركان في الدّلالة على سيلان الماء

---

[1] **الخصائص**، ج2، ص162.

[2] ينظر: **الأصوات اللّغويّة**، عبد القادر عبد الجليل، ص160 – 161.

[3] **كتاب العين**، ج1، ص53 – 54.

[4] الآية 66من سورة **الرّحمن**.

[5] **الخصائص**، ج2، ص158.

ونحوه، ويكمن الاختلاف بينهما في الدّلالة على قوّة ذلك الحدث أو ضعفه. فيقال(نضح) عليه الماء نضحا إذا ضربه بشيء فأصابه منه رشاشٌ.[1] أمّا(النَّضْخ) فيدلّ على شدّة فور الماء في جيشانه وانفجاره من ينبوعه.[2] فالنَّضْخُ أقوى من النَّضْحِ. فالحاء صوت مهموس رخو مرقّق حلقي وهو المقابل المهموس لصوت العين، [3]وهو بهذا يناسب سيلان الماء ببطء وتؤدة ورشّه برقّة. في حين أُختيرت الخاء للدّلالة على قوّة سيلان الماء، لما في هذا الصّوت من استعلاء وبعض التّفخيم.

وتتوالى مظاهر "الدّلالة الصّوتيّة" الّتي تزخر بها اللّغة العربيّة والّتي سعى **ابن جنيّ** جاهدا لشرحها مستثمرًا في ذلك معارفه الصّوتيّة، فقال: "ومن ذلك القَدُّ طولا، والقَطُّ عرضا. وذلك أنّ الطّاء أحصر للصّوت وأسرع قطعا له من الدّال. فجعلوا الطّاء المناجِزة لقطع العَرْضِ، لقربه وسرعته، والدّال المماطلة لما طال من الأثر، وهو قطعه طولاً".[4] لقد استعملت العرب الطّاء للدّلالة على المسافة القصيرة (العَرْض) نظرًا لشدّتها وإطباقها، فالصّوت فيها محصور من مخرجه إلى مؤخّرة اللّسان. ومعلوم أنّ النّاطق يسعى إلى اليسر واقتصاد الجهد العضلي، فيحاول التّخلّص من نطق هذا الصّوت بسرعة فائقة. ونظرًا لقصر زمن النّطق بصوت الطّاء فهو يناسب الدّلالة على المسافة القصيرة، فمنقطع الطّاء أقصر مدّة

---

[1] ينظر: **لسان العرب**، ج2، ص618، مادة (نضح).

[2] **المرجع نفسه**، ج3، ص69، مادة (نضخ).

[3] ينظر: **مناهج البحث في اللّغة**، ص103.

[4] **الخصائص**، ج2، ص158.

من منقطع الدّال.[1] ويصح عكس هذا مع صوت الدّال المرقّقة والّتي جعلت للدّلالة على طول المسافة. وجاء في الحديث (إنّ عليًّا–عليه السّلام–كان إذا اعتلى قدّ وإذا اعترض قطّ).[2] وضمّ الرّاغب **الأصفهاني** (ت502هـ) رأيه إلى ما تقدّم به **ابن جنّي**، فقال: "القَدُّ قطع الشّيء طولاً والقِدُّ المقدود، ومنه قيل لقامة الإنسان قدّ كقولك تقطيعه، والقِدَدُ الطَّرَائِقُ".[3]

ومن مظاهر "الدّلالة الصّوتيّة" ممّا وقع في آخر اللّفظ أيضًا قول العرب: (قرت) و(قرد) و(قرط)، وقد نقل عنهم ابن جنيّ ذلك، فقال: "ومن ذلك قولهم: قَرَتَ الدّمُ، وقرِد الشّيء، وتقرَّدَ، وقَرَطَ يَقْرُطُ. فالتّاء أخفت الثّلاثة، فاستعملوها في الدّم إذا جفّ؛ لأنّه قَصْد ومستخفّ في الحِسّ عن القَرْدَد الّذي هو النِّبَاك*في الأرض ونحوها. وجعلوا الطّاء –وهي أعلى الثّلاثة صوتا–(للقرطِ) الّذي يسمع. وقرِد من القِرْدِ، وذلك لأنّه موصوف بالقلّة والذِّلة".[4] إنّ الدّم إذا قرت جفّ ويبس بعضه على بعض فيرتفع ارتفاعا ضعيفًا كضعف صفات صوت التّاء الّتي هي أَخْفَتُ من أختيها الدّال والطّاء. ويقال تقرّد الشَّعر إذا اجتمع، أمّا القَرْدَدُ فهو كلّ ما ارتفع من الأرض وغلظ، ولذلك خصّوا القرد بهذا الاسم لأنّ جسمه متقرّد فوُصِف

---

[1] ينظر: **المصدر نفسه**، ج1، ص66.

[2] **جمهرة اللّغة**، ج1، ص75، مادة (قدد).

[3] **المفردات في غريب القرآن**، ص395، مادة (قدد).

[*] **النِّبَاكُ**: النَّبْكُ هو ما ارتفع من الأرض، ينظر: **لسان العرب**، ج10، ص497، مادة (نبك).

[4] **الخصائص**، ج2، ص158.

بالذّلة والقلّة مصداقا لقول الله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِيْن﴾.[1] فشبّهت العرب الأصوات بالأفعال ونزّلوها إيّاها على حذوها.[2]

وقد ميّز نحارير اللّغة العربيّة بين أدنى الفروق الصّوتيّة الّتي تعتري بعض الألفاظ المتشابهة، وذلك في نحو قولهم: (قبص) و(قبض). فجعلوا (القَبْصَ) لأخذ الشّيء بأطراف الأصابع، و(القَبْض) لأخذه باليد كلّها. وهذا ما أطلعنا عليه **ابن السكّيت** (ت244هـ)، فقال: "القَبْضُ: مصدر قَبَضْتُ، وهو أخذك الشّيء بأطراف أصابعك. والقَبْصَةُ: دون القَبْضَة".[3] وشاطره **ابن دريد** الرّأي، فقال: "القَبْصُ: العدد الكثير ويقال قَبَصْت قَبْصَةً من الأرض وهو أخذك الشّيء بأطراف أصابعك".[4] وعلّل **ابن جنيّ** قوليهما تعليلا صوتيا، فقال: "القَبْضُ بالضّاد معجمة باليد كلّها، وبالصّاد غير معجمة بأطراف الأصابع...وذلك أنّ الضّاد لتفشّيها واستطالة مخرجها جُعلت عبارة عن الأكثر، والصّاد لصفائها وانحصار مخرجها وضيق محلّها جُعلت عبارة عن الأقلّ".[5] وقد أشار **حسام سعيد النّعيمي** إلى مفهوم "الحرف الأقوى" عند **ابن جنّي**؛ فهو في نظره لا يعمّمه كصفة مطلقة فيه تصّحّ في كل موضع وإنّما يكون الحرف أقوى من الثّاني بصفة من الصّفات في

---

[1] الآية 65 من سورة **البقرة**.

[2] ينظر: **المصدر السّابق**، ج2، ص160.

[3] **إصلاح المنطق**، ص6.

[4] **جمهرة اللّغة**، ج1، ص 298، مادة (بصق).

[5] **المحتسب في تبيين وجود شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ج2، ص55.

[5] **دلالة الألفاظ**، ص70.

موضع، ويكون غيره أقوى في موضع آخر بصفة أخرى. فالتّاء والطّاء مثلا أقوى من الدّال لأنّ جرس الصّوت بهما أقوى منه وأظهر عند الوقف على الدّال، فالقوّة إذن نسبيّة عنده. ونجده يفسّرها أحيانا بحصر الصّوت الّذي في الحرف، وأحيانا بالاستعلاء الّذي فيه، ومرّة أخرى بأنّه حرف صلب، ويكون الحرف الثّاني يحمل الصّفة المعاكسة.[1]

وقد حذا **ابن قيّم الجوزية** (ت751هـ) حذو ابن جنّي في تفسيره للدّلالة الصّوتية، فقال: "والمناسبة الحقيقيّة معتبرة بين اللّفظ والمعنى طولا وقصرا، وخفّة وثقلا، وكثرة وقلّة، وحركة وسكونا، شدّة ولينا، فإن كان المعنى مفردا أفردوا لفظه، وإن كان طويلا طوّلوه، كالقطنط والعشنق للطّويل، فانظر إلى طول هذا اللّفظ لطول معناه وانظر إلى لفظ بُحْتُر وما فيه من الضّمّ والاجتماع لما مسمّاه القصير المجتمع الخلق، وكذلك الحديد والحجر والشدّة والقوّة ونحوها تجد في ألفاظها ما يناسب مسمياتها".[2] ولكن يبدو أنّ **ابن القيّم** قد أسرف وبالغ في قوله هذا.

وقد أُعجب كثير من الباحثين القدامى والمحدثين بمناسبة أصوات العربيّة لمعانيها فعبّر **السّيوطي** (ت911 هـ) عن ذلك قائلاً: "فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني، فجعلت الحرف الأضعف فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخفّ عملاً أو صوتاً، وجعلت الحرف الأقوى والأشدّ والأظهر والأجهر

---

[1] ينظر: **ابن جنّي عالم العربيّة**، ص95-96.

[2] **بدائع الفوائد**، ج1، ص108.

لما هو أقوى عملاً وأعظم حسّاً".[1] وقال **جسبرسن** (jesperson) أيضا في فصل عنوانه "رمزيّة الألفاظ": "إنّ كلمات اللّغات تزداد مع الأيّام إيحاءً للدّلالات، وتكتسب الألفاظ بمرور الزّمن قدرا أكبر من تلك الرّمزيّة".[2]

ب-دلالة المصوّتات:

تفرّق العرب بين المعاني بتغيير الحركة في بنية الكلمة، فيختارون المصوّت الأقوى للمعنى الأقوى ويخصّون المعنى الضّعيف بالمصوّت الضّعيف، فلنمعن النّظر في لفظة (الذّلّ)، إذ وضعوا الذّال واللاّم للتّعبير عن وصف في الدّابة والإنسان على حدّ سواء، فكسروا الذّال الّتي للدّابة وأرادوا بها ضدّ الصّعوبة. فقالوا: ذِلٌّ، وضمّوا الذّال الّتي للإنسان إذا أرادوا بها ضدّ العزّ، فقالوا: ذُلٌّ. ولا مجال للمقارنة بين الذُّلِّ الّذي ينال الإنسان وذلك الّذي ينال الحيوان، فالأوّل أكبر خطورة من الثّاني ولذلك "اختاروا الضّمّة لقوّتها للإنسان، والكسرة لضعفها للدّابة".[3] ومن قبيل هذا قولهم: "جُمَامَ المَكُّوكِ دقيقًا وجِمَام القَدْحِ ماءً؛ وذلك لأنّ الماء لا يصحّ أن يعلو على رأس القدح كما يعلو الدّقيق ونحوه على رأس المكّوك، فجعلوا الضّمّة لقوّتها فيما يكثر حجمه، والكسرة لضعفها فيما يقلّ بل يُعدم ارتفاعه".[4] وكذلك هي الحال في قولهم في الشّيء الحُلْو: "حَلَا الشّيء في فمي يحْلُو، وحَلِيَ بعيني، فاختاروا البناء للفعل على فَعَلَ فيما كان لحاسّة الذّوق؛ لتظهر

---

[1] **المزهر في علوم اللّغة وأنواعها**، ج1، ص53.

[2] **دلالة الألفاظ**، ص70.

[3] **المحتسب في تبيين وجود شواذ القراءات والإيضاح عنها**، ج2، ص18.

[4] **المصدر نفسه**، ج2، ص19.

فيه الواو، وعلى فَعِلَ في حَلِيَ يَحْلَى لتظهر الياء والألف، وهما خفيفتان ضعيفتان إلى الواو؛ لأنّ حصّة النّاظر أضعف من حسّ الذّوق بالفم".[1]

ومن باب ما أسلفنا ذكره قولهم: (ضُرٌّ) و(ضَرٌّ)، فالأوّلى للدّلالة على (السّقم) والثّانية بمعنى (نفع) وهما متناقضان.[2] وكذلك (الضُّراح) وهو اسم للبيت المرفوع، أما (الضَّرِيح) فيعني إحداث شقّ وسط القبر، فالرّفع للمرتفع والخفض للمنخفض.[3] كما قالوا لما يحدث في الأذن (وَقْرٌ) وما يحدث على مستوى الظّهر (وِقْرٌ)؛ فالحركة العليا للأعلى والحركة السّفلى للفعل الأسفل. وتقول للرّجل إذا أعطيته (نُلْتُ منه)، وإذا أعطاك هو: (نِلْتُ منه) فقابلوا اليد العليا بالحركة العليا واليد السّفلى بالحركة السّفلى.[4]

خاتمة:

- ✓ "الإيحاء الصّوتيّ" ظاهرة قائمة في اللّغة العربيّة ولكّنها لا تتأتّى مع جميع ألفاظها فهي تحتاج إلى بحث واستقصاء، ويجب أن يكون الباحث متمرّسا عالما بأسرار اللّغة العربيّة وأصواتها خاصّة.
- ✓ لا قيمة للفظٍ لم يجرِ به الاستعمال؛ فالدّلالة تُستوحى من اللّفظ الّذي جرى به الاستعمال حتّى شاع فيه، وأُطلق عليه وعُرف به.
- ✓ اللّفظ يكتسب إيحاءه ودلالته من كثرة الاستعمال.
- ✓ تختلف إيحاءات الألفاظ ودلالاتها من شخص لآخر.

---

[1] **المحتسب**، ج2، ص19.

[2] ينظر: **تثقيف اللّسان وتلقيح الجِنان**، ص 282.

[3] المصدر **نفسه**.

[4] **المصدر نفسه**، ص288.

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المؤلّفات:

1. أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربيّ–أبو عمرو بن العلاء، عبد الصّبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1408هـ/1987م.
2. الأصوات اللّغويّة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط4، 1981م.
3. الأصوات اللّغويّة، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنّشر والتّوزيع، ط1، 1418هـ/1998م.
4. إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكّيت، شرح وتحقيق: أحمد محمّد شاكر وعبد السّلام محمّد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1368هـ / 1949م.
5. الألسنية العربيّة، مقدمة . الأصوات . المعجم . الصّرف، ريمون طحّان، دار الكتاب اللّبنانيّ، لبنان، ط2، 1981 م.
6. الإيقاعيّة مقاربة إجرائيّة، عزّت محمّد جاد، دار الفكر العربيّ، القاهرة، د. ط، 2002م.

7. بدائع الفوائد، ابن قيّم الجوزية، تحقيق: بكر بن عبد الله بوزيد، دار عالم الفوائد، د. ط، د. ت.

8. البناء اللّفظيّ في لزوميات المعرّي، دراسة تحليلية بلاغية، مصطفى السّعدني، منشأة المعارف، القاهرة، د. ط، د.ت.

9. ابن جنّي عالم العربيّة، حسام سعيد النّعيميّ، وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1990م.

10. تثقيف اللّسان وتلقيح الجنان، أبو حفص بن خلف بن مكّي الصقلّي، تقديم: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، لبنان، ط1، 1410هـ/ 1990م.

11. جمهرة اللّغة، أبو بكر محّمد بن الحسن الأزدي البصري، دار صادر، لبنان، ط1، 1344هـ.

12. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق: محمّد علي النّجار، دار الكتاب العربي، لبنان، ط2، 1407هـ/1987م.

13. الدّراسات الصّوتيّة واللّهجيّة، حسام سعيد النّعيمي، دار الطّليعة، لبنان، د. ط، 1980م.

14. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط5، 1984م.

15. رسالة أسباب حدوث الحروف، أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، تحقيق: محمد حسان الطّيّان ويحيى مير علم، تقديم ومراجعة: شاكر الفحّام وأحمد راتب النّفّاخ، مجمع اللّغة العربيّة، سورية، ط1، 1403هـ/ 1983م.

16. الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التّلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات الّتي تلزمها، مكّي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار عمّار، الأردن، ط3، 1417هـ/1996م.

17. سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جنّي، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، سوريّة، ط1، 1405هـ / 1985م.

18. الغريب المصنّف، أبو عبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق وتقديم: رمضان عبد التّواب، مكتبة الثّقافة الدّينية، القاهرة، ط1، 1989م.

19. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1402هـ/ 1982م.

20. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتورين مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائـي، دار الرشيد للنشر، العراق، د. ط.

21. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدّين بن مكرم بن منظور، دار صادر، لبنان، ط3، 1414هـ/ 1994م.

22. مجالس ثعلب، أبو العبّاس أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1400هـ/ 1980م.

23. مدخل في الصّوتيّات، عبد الفتّاح إبراهم، دار الجنوب للنّشر، تونس، د. ط، د. ت.

24. المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، عبد الرّحمن جلال الدّين السّيوطي، شرح وضبط: محمّد جاد المولى بك وآخرون، دار الجيل، لبنان، د. ط، د.ت.

25. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمّد الرّاغب الأصفهاني، تحقيق وضبط: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، لبنان، ط3، 1422هـ/2001م.

26. المحتسب في تبيين وجود شواذّ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان ابن جنيّ، تحقيق: علي النّجدي وعبد الفتّاح إسماعيل شلبي، مطابع الأهرام التّجارية، القاهرة، د. ط، 1414هـ/ 1994م.

27. مقدّمة لدراسة فقه اللّغة، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة، القاهرة، د. ط، 1995م.

28. من أسرار اللّغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ط3، 1966م.

29. مناهج البحث في اللّغة، تمّام حسّان، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، د. ط، 1990م.

30. النّشر في القراءات العشر، ابن الجزريّ، تحقيق: علي محمّد الضبّاع، المطبعة التّجاريّة الكبرى، لبنان، د. ط، د. ت.

المجلاّت:

1. أسباب نشوء ظواهر التّشكيل الصّوتيّ في العربيّة، المهدي بوروبة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة أبي بكر بلقايد . تلمسان، الجزائر، العدد الثّاني، المجلّد الأوّل، 2001 م.

المنشورات والدّراسات الإلكترونيّة:

- الأسباب الصّوتيّة لاختيار المفردة القرآنيّة، عبد الرّحمن بن معاضة الشّهري، الرّابط الإلكترونيّ: www.tafsir.org/vb/showthread.php?t=2361
- الأسباب الصّوتيّة لاختيار المفردة القرآنيّة، عبد الرّحمن بن معاضة الشّهري، الرّابط الإلكترونيّ: http://www.tafsir.org/vb/showthread.php?2361
- **وجهة نظر جديدة في مخارج الأصوات السّتّة**، غانم قدوري الحمد، مجمع اللّغة العربيّة الأردنيّ على الرّابط الإلكترونيّ: www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09-36-00/359-77-1.html